

كورونا يغير بوصلة العمل الخيري خلال شهر رمضان في مصر

حظر موائد الرحمن يجعل المساعدات تصل إلى أصحابها في الستر



رحمة وتآزر



الوباء يمنع التجمع

رمضان، فإذا كانت الجائحة حالت دون الاحتكاك المباشر عبر المائدة، فقد أفرزت ظواهر أكثر إيجابية تتجلى في تعاقد وشريحة واسعة من الأغنياء مع المتاجر ومحال السلع الغذائية لإعداد كراتين تحتوي على مواد أساسية تحتاجها كل أسرة، مثل الأرز والمكرونة والزيت والبقوليات والسكر والشاي والتمر، وهناك فئة اعتادت أن تخصص عشرات الآلاف من الجنيهات لإقامة مائدة الرحمن صارت توجه هذه المبالغ لتوزيع السلع.

الوباء بين أن أعمال الخير كثيرة، وأكبر من مجرد مائدة طعام يتم تنظيمها في الشارع وسط المارة

تكفي الكرتونة الواحدة احتياجات أسرة مكونة من أب وأم وابن من المستلزمات الغذائية الضرورية لثلاثة أيام، ولأن أغلب فاعلي الخير لجأوا إلى هذه الفكرة كبديل عن إقامة المائدة المحظورة حكومياً، تصل اثنتان من الكراتين لكل عائلة بسيطة أسبوعياً دون أن تحتاج لشراء أي سلعة على مدار شهر رمضان.

وترى أغلب عناصر المنظومة الخيرية أن هذه المكتسبات لم تكن لنحدر في زمن الموائد الرمضانية رغم أبعادها الإنسانية المتعددة، فمن اعتادوا الإفطار عليها صاروا جالسين على الطاولة في منازلهم برفقة باقي أفراد العائلة، ومن كانوا يعيشون قلة الحيلة لاقتناء السلع بات لدى أغلبهم فائض في ذروة الغلاء وصعوبات المعيشة.

التحول على غرار بعض أصحاب المطاعم والموائد الجاهزة الذين تعاقدت معهم فئة من المقتدرين لإعداد مأكولات في بعض المناطق السكنية مع التنوع في الطعام يوميا.

الشباب أحمد أنس الذي يستاجر مطعماً في منطقة عين شمس بالقاهرة والذي كان يعاني من ندرة البيع تعاقد معه أحد الأطباء المقتدرين مادياً على تجهيز نحو 40 وجبة يوميا، والتكفل بمهمة توزيعها على البسطاء المقيمين في المنطقة المجاورة للمطعم، وأمام العائد المادي المعقول الذي سوف يجلبه خفض سعر الوجبة كي يستفيد جزء من العمل الخيري.

وقال صاحب المطعم لـ "العرب" إن غياب موائد الرحمن انعكس إيجابياً على أغلب الأسر البسيطة، مدلاً على ذلك بأنه شخصاً لديه قائمة بأربعين رب أسرة سوف يأتون كل مساء لاستلام وجبات تكفي أفراد عائلاتهم، وصاحب العمل الخيري ترك له اختيار أصناف الطعام شريطة الحرص على جودتها.

يشعر الشاب ورفاقه بالمطعم بسعادة من نوع خاص، فهم يقومون بعمل يجلب لهم الثواب والخير ويتربحون مالياً، ويدركون جيداً أن لهم نصيباً من دعوات المحتاجين، مؤكداً أنه تعهد بأن يطهو للبسطاء بطريقة كما لو كان سيقوم بإعداد الطعام لنفسه، ولم يدرك أن كورونا جاء بإيجابية تحفظ إنسانية رواد الموائد.

تتعدد مشاهد الموائد حالة فريدة من نوعها ترتبط باستمرار التكافل الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء حتى مع الظروف الاقتصادية الصعبة التي تطلت الجميع، لكن الميزة الأهم في المداومة على الترابط بين المقتدر والبسيط خلال

أنفسهم لهذه الفئة باعتبارهم التيار الديني الذي يعوض غياب الحكومة عن مساعده محدودي الدخل.

ساعده الإسلاميون حتى وقت قريب يستثمرون الوساطة بين المقتدرين والمحتاجين، خاصة في الجمعيات التابعة للمساجد للنفاذ إلى الشرائح الكادحة، وحجز مكانة استثنائية لديهم، في محاولة لتغيير الصورة الذهنية الراسخة عنهم بأنهم صاروا يتاجرون بالدين لتحقيق مآرب سياسية مشبوهة، ومع التواصل المباشر بين فاعلي الخير والمستفيدين منه جرى تخييب الجماعات الدينية من المشهد.

ارتفاع منسوب التضامن

رأى عادل بركات الباحث في القضايا الاجتماعية أن الاحتكاك المباشر بين الأغنياء والبسطاء في العمل الخيري يعكس ارتفاعاً واضحاً في منسوب التضامن الاجتماعي، ويقضي على استغلال أي طرف ديني لزيادة الفقر بين الناس، واختفاء الموائد بشكل عام وإن كان بسبب كورونا جلب الكثير من المنافع.

ولفت في تصريح لـ "العرب" إلى أن اختفاء الموائد كشف عن أصحاب الأعمال الخيرية الحقيقيين، فهناك شريحة كانت تقدم على هذه الخطوة بدافع الخضم من الضرائب المستحقة عليها للدولة، وهؤلاء تاجروا بمعانسة البسطاء لسنوات طويلة، لكن سرية العمل الخيري وحدها أظهرت المخلصين من المزيّفين.

إذا كانت أسر الفقراء أكثر المستفيدين من تحويل بوصلة العمل الخيري من الموائد إلى البيوت مباشرة، فهناك شرائح أخرى استفادت من هذا

الفقراء مستعدون لتناول أقل شيء بعيداً عن الحرج.

من هؤلاء إبراهيم نبوي الذي يعمل في مجال النظافة بإحدى مدارس القاهرة، فلم يشارك يوماً بمائدة طعام خيرية، رغم أن أسرته المكونة من أربعة فتيات وزوجته تعيش كل أنواع الحرمان، لكنه أخذ عهداً على نفسه بأن يشارك أولاده على طاولة الإفطار مهما كان نوع الطعام، لأنه يخشى على بناته من المشاهد التي قد تؤخذ عن والدهن مع بلوغهن سن الزواج.

رمضان مختلف

كان إفطار رب الأسرة وعدد من أولاده يومياً خارج البيت يتشكل مشكلة نفسية لباقي أفراد العائلة، فهناك فريق بالشارع وآخر بالمنزل على وقع الفقر وقلة الحيلة، مع أن تجمع الأبناء والأبوين على طاولة واحدة في رمضان والمشاركات التي تضيء بهجة وتمثل فرصة لعودة مشاعر المودة والتراحم والتلاقي بين الآباء والأبناء.

والميزة الأهم لاختفاء موائد الرحمن أن هناك شريحة كبيرة من البسطاء لم تكن تشارك فيها أو تفكر في تناول الطعام عليها لأسباب ترتبط بعزة النفس وعدم خلق صورة بان الظروف المادية وصلت إلى مرحلة لا تستطيع معها شراء المأكولات، كما أن فئة ليست قليلة من

ذهب بعض أصحاب الخير إلى فكرة استخدام طهاة محترفين وإعداد وجبات لتوزيعها على محدودي الدخل والمارة أو عبري السبيل، وهذه محاولة مبتكرة لتعويض غياب مائدة الرحمن، ويبرر هؤلاء موقفهم بأنهم يشعرون بهجة مضاعفة عندما يشاهدون البسطاء وهم يتسلمون الطعام المغلف لهم خصيصاً، ويقومون بالدعاء لهم بسعة الرزق والستر وراحة البال.

تسبب حصول البسطاء على مساعدات من الأغنياء مباشرة دون وسيط في قطع الطريق على الجمعيات الخيرية المملوكة لجماعات إسلامية مختلفة على رأسها الجماعة السلفية، حيث كان القائمون عليها يحثون الناس على التبرع لهم بالمال والطعام والسلع، ليتولوا هم مهمة توصيلها إلى الفقراء، ويقدمون

اعتاد الفقراء في مصر خلال شهر رمضان البحث عن موائد الإفطار مع ما في ذلك من إحراج، فالجوع يدفعهم إلى ذلك مكرهين، لكن مع حظر هذه الموائد الجماعية بسبب تفشي الوباء، صارت الإعانات تصلهم إلى بيوتهم فتحفظ لهم ماء الوجه وترفع عنهم الإهانة.

والمحتاجين، لافتاً إلى أن الأفضل لمن يريد الخير في رمضان والمستفيدين منه أن يكون العمل بعيداً عن أعين الناس بدافع السرية وعدم التشهير والمجاهرة.

وأضاف أن كورونا أثبتت أن أعمال الخير كثيرة وأكبر من مجرد مائدة طعام يتم تنظيمها في الشارع وسط المارة، مع أن توزيع الطعام والسلع على المحتاجين وهم جالسون في بيوتهم لا يصيبهم بأذى نفسي ويجنبهم جرح مشاعرهم، وتكون الاستفادة عامة، ولا تستهدف من يدومون على الذهاب إلى الموائد من الرجال فقط.

جلبت جائحة كورونا المزيد من الخير للأسر البسيطة، فمن كان يداوم على إقامة مائدة شهية أصبح مضطراً للبحث عن بديل أكثر مثالية لعدم التخلي عن هذه العادة السنوية، وصارت هناك مشاهد أكثر إنسانية بتقديم العمل الخيري في صورة حضارية تحفظ كرامة الفقراء، وتضمن لهم الراحة والطمأنينة وتتيح لهم خيارات متعددة.

تنوعت المكتسبات بين تسليم الوجبات إلى بيوت البسطاء عن طريق متبرعين يتعاونون مع الأغنياء الذين اعتادوا إقامة موائد الإفطار، أو عبر زهاب رب الأسرة إلى مقر توزيع الأطعمة للحصول على ما يكفيه وأسرته ليجلس أفراد العائلة جميعاً داخل منزلهم، وليس في الشارع وسط المارة، وهي ميزة لم تكن توفرها الخيام.

حاولت "العرب" رصد هذه المشاهد وتوثيقها بالصور، لكنها واجهت رفضاً متكرراً من أصحاب الخير، حفاظاً على مشاعر البسطاء وعدم التشهير بهم، وإضفاء قدر من السرية على العمل ليكون الثواب أكبر، ووافقوا على الحديث شريطة عدم التصوير، في مؤشر يعكس زيادة الوعي المجتمعي تجاه طريقة المساعدات الخيرية، والافتقار بان الاكتفاء بالموائد كان أسلوباً خاطئاً.

وقررت الحكومة المصرية قبل نحو أسبوع من بداية شهر رمضان حظر إقامة موائد الرحمن للعام الثاني على التوالي لتجنب الاختلاط العشوائي بين الناس، ومنع الزحام في الخيام الرمضانية الشهيرة مع صعوبة السيطرة على تصرفات البعض، في ظل محاولات السيطرة على الموجة الثالثة من جائحة كورونا قبل تفاقم الأوضاع بشكل يصعب السيطرة عليها في أعداد الإصابات.

يعد شعبان واحداً من مصريين كثيرين يعيشون تحت خط الفقر ينتظرون موائد الرحمن كل عام، حيث تعوضهم عن قدر من الحرمان الذي يعيشونه طوال السنة لأن ظروفهم المادية لا تسعفهم لشراء أطعمة يعينها، والكثير منهم يستثمرون موائد الأغنياء لخفض النفقات المخصصة لوجبات الإفطار وتوجيهها لأبواب أخرى.

توسيع دائرة المستفيدين

نادراً ما تجلس النساء بمختلف أعمارهن على موائد الرحمن لأسباب ترتبط بالخلج وتجنب الاحتكاك بالرجال وعدم الشعور بالراحة وتجنب التصرفات السلبية من البعض، وكانت مشاركة الرجال الصورة التي اعتاد عليها المجتمع منذ أن عرف طريق العمل الخيري خلال شهر رمضان والتركيز على إطعام البسطاء في الخيام.

تذكر أم ياسين أن زوجها كان يتناول الإفطار يومياً على إحدى الموائد وكان يسقط نفسه من حسابات تكلفة الطعام الذي تشتريه الأسرة في رمضان، فهم يعيشون أوضاعاً بالغة الصعوبة، وتوفير الجنيه الواحد يومياً شيء مهم للغاية، ولهذا لم تكن تضع في الحساب أن الأب سيقطر مع العائلة، وتشتري ما يكفي للموجودين بالمنزل.

ما كان يثير امتعاض الأم أن موائد الرحمن تقدم خدماتها لمن يذهب إليها فقط، وهو شيء مستحيل على الفتيات والسيدات وكبار السن من المنتمين للأسر الفقيرة، ومع إلغاء الموائد هذا العام باتت الاستفادة أكبر، وعم الخير على كل أفراد العائلة عندما قدم الأغنياء المساعدة للمحتاجين بطريقة آدمية بعيداً عن زحام الشارع.

وقال أحمد كريمة أستاذ الفقه والشريعة بجامعة الأزهر لـ "العرب" إن إلغاء موائد الرحمن وسع دائرة العمل الخيري بعد أن كان قاصراً على إعداد الطعام في الخيام للفقراء

أحمد حافظ
كاتب مصري



اعتاد شعبان محمد، وهو رب أسرة بسيطة تعيش في منطقة حلوان بجنوب القاهرة، أن يتناول إفطاره خلال شهر رمضان على إحدى موائد الرحمن القريبة من البرج السكني المسؤول عن حراسته، ويصطحب أولاده الثلاثة ويترك بناته الثلاث برفقة والدته في المنزل حفاظاً على صورتهم وتجنب إحراجهم وسط الرجال.

يعترف الرجل أنه كان يتناول أولاده الذكور الإفطار على مائدة مليئة بطعام شهية لا يستطيع شراء مكوناتها لارتفاع تكلفتها مع ندرة المال وقلة الدخل الشهري، في حين أن بناته وزوجته كن يتناولن أطعمة بسيطة أثناء الإفطار لعدم استطاعتهن الخروج والجلوس على مائدة وتناول الطعام في الشارع خوفاً من أن تسلط عليهن نظرات المارة.

وقال شعبان لـ "العرب" إن إلغاء موائد الرحمن لظروف جائحة كورونا مع قرار الحكومة منع التجمعات فرصة ثمينة للأسر الفقيرة ليصل إليها العمل الخيري حتى البيوت، ويستفيد الكبير والصغير والرجل والمرأة دون تمييز أو خوف من الإهانة، حيث تم إبلاغه من جانب عاملين مع أحد أغنياء المنطقة بان وجبات إفطاره ستصله يومياً حتى باب منزله هو وأفراد أسرته.

وقررت الحكومة المصرية قبل نحو أسبوع من بداية شهر رمضان حظر إقامة موائد الرحمن للعام الثاني على التوالي لتجنب الاختلاط العشوائي بين الناس، ومنع الزحام في الخيام الرمضانية الشهيرة مع صعوبة السيطرة على تصرفات البعض، في ظل محاولات السيطرة على الموجة الثالثة من جائحة كورونا قبل تفاقم الأوضاع بشكل يصعب السيطرة عليها في أعداد الإصابات.

يعد شعبان واحداً من مصريين كثيرين يعيشون تحت خط الفقر ينتظرون موائد الرحمن كل عام، حيث تعوضهم عن قدر من الحرمان الذي يعيشونه طوال السنة لأن ظروفهم المادية لا تسعفهم لشراء أطعمة يعينها، والكثير منهم يستثمرون موائد الأغنياء لخفض النفقات المخصصة لوجبات الإفطار وتوجيهها لأبواب أخرى.

فئة من المقتدرين تعاقدت مع أصحاب المطاعم لإعداد مأكولات في بعض المناطق السكنية، مع التنوع في الطعام يوميا

